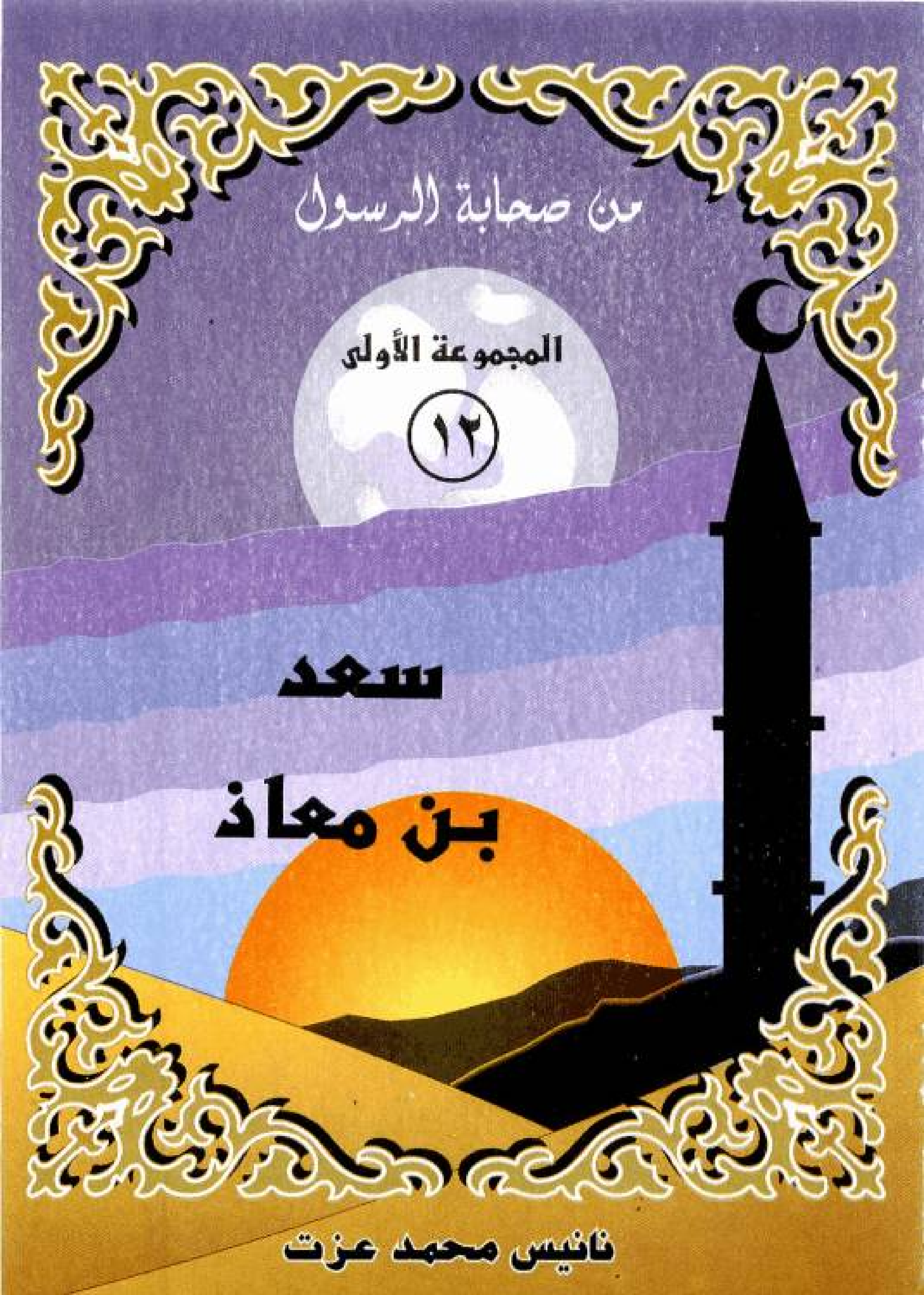

من صحابة الرسول
المجموعة الأولى
١٢
سعد
بن معاذ
نانيس محمد عزت

من صحابة الرسول

المجموعة الأولى ١٢

سعد بن معاذ

بقلم

نانيس محمد عزت

الناشر
مكتبة مصر
سعيد جودة السحار وشركاه
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة
ت: ٥٩٠٨٩٢٠

سعد بن معاذ

دُقَّ جرسُ الشُّقَّة ، فجرَى أحمدُ ليَفتحَ البابَ وصاح: إنَّه العمُّ عبدُه يا أُمِّى ، وقد أحضرَ الخُضَرَ والفاكِهَةَ من السّوق .

ونظرَ أحمدُ إلى ما فى السَّلَّةِ الّتى أحضرَها العَمُّ عبدُه ، فغَضِبَ وقال :

ـ ما هذا يا عَمُّ عبده ، كيفَ تُحضِر لنا مَوْزًا من إنْتاجِ المَزارِعِ اليَهودِيَّة ؟

تعجَّب العَمُّ عبده وقال : أىُّ مزارِعَ يَهودِيَّةٍ يا بُنَيّ ؟ كفَى اللّهُ الشَّرّ ، لقد أحضَرْتُه من العَمِّ سُلَيمانَ الفكهانِيِّ بأوَّلِ الشّارِع .

قالَ أحمد : ولكنَّ مَصدَرَه يَهودِىّ .

وبعدَ تَناوُلِ العَشاء ، قدَّمت أُمُّ أحمدَ الفاكِهَة ، فقالَ أحمد :

ـ أنا لن آكُلَ من هَذا المَوْز .

سأَلَ أَبوه : ولِماذا يـا أَحمَد ؟ فـأنتَ تُحِـبُّ أكـلَ المَوْز؟

قالَ أحمد : ألا ترَى يا أَبي المَكتوبَ على العَلامَة ؟ إنَّ هذا المَوْزَ يهودِيُّ المَصدَر . وقد قالَ لنا المُدرِّسُ ألاّ نُحالِفَ اليَهود ، ولا نأمنَ لهم ، فالغَدْرُ من طِباعِهم .

قالَ أبـوه : صدَقْـتَ يـا أحمـد ، فقَـدْ دأبَ اليَهـودُ دائِمًـا علـى مُضايَقـةِ المُسلِمينَ والغَـــدرِ بِهـم . وإنَّ مَواقِفَهُم الغادِرَةَ لا حَصْرَ لهـا ، ومِنهـا عِندمـا ذَهـبَ النَّبيُّ صلّى اللّهُ عَليــهِ وسَلّمَ إلَـى الطّـائِف ، يَلتَمِـسُ النّصرَ من ثَقيفٍ بعدَ أن كذَّبتْـهُ قُريْشُ وآذَتـه ، فلـم تكُن حالُ ثَقيفٍ بأفضَلَ من حالِ قُرَيْش ، فقد كذَّبوهُ وسَفَّهوهُ وآذَوْه ، وأمَروا عَبيدَهم وأولادَهُم أن يُلقوا عَليهِ الحِجارَةَ حتّى شَجّوا رأسَه ، وأصــابوهُ إصابـاتٍ شَديدَة .

قـالتْ أُمُّـه : صَدقْـتَ واللّـهِ يـا أحمـد ، فقـد طُبِـعَ

اليَهودُ علَى الشَرّ ، وقد قالَ النّبيُّ صلّى اللّهُ عَليهِ وسَلّم: ما اجْتَمعَ مُسلِمٌ ويَهودِيٌّ في مَكان، إلاّ وهمّ اليَهودِيُّ بقَتلِ المُسلِم .

وأكْملَ أبوه : نعم ، وقَد وصلَ بهم الغَدْرُ أن هَمّوا بقَتلِ النّبيّ ، صلّى اللّهُ عَليهِ وسَلّم .

قالَ أحمد : أحدَثَ ذلكَ حقًّا يا أَبي ؟

قالَ أبوه : نَعم يا أحمد ، فعِندما ذَهبَ النّبيُّ عَليهِ الصّلاةُ والسّلامُ مرّةً إلى بَني النّضير ليَطلُبَ منهم المَعونَةَ ، اسْتِنادًا إلى العَهدِ الّذي أخذَهُ عَليهِم في أيّامِهِ الأُولَى بالمَدينَة ، أوعَزَت إليهم نُفوسُهم الغادِرَةُ أن يَقتُلوه ، بأن يُلقوا عَليهِ حَجَرًا كَبيرًا من فوقِ بَيتٍ كان يَجلِسُ إلَى جِوارِه ، لولا أن أَوحَى اللّهُ سُبحانَهُ وتَعالَى إلى نَبيِّهِ بما يَنويهِ اليَهود ، فغادَرَ مجلِسَه .

وقالَت أُمُّه : وخَيبرُ أيضًا ، ألم تَضَعْ له السُّمّ في لَحمِ الشّاة ؟

قالَ أبوه : وفِى غَزوَةِ الأَحزابِ أكبَرُ دَليلٍ على غَدرِهِم ونَقضِهِم العُهود .

سألَ أحمد : وماذا فعلَ اليَهودُ فى غَزوَةِ الأَحزابِ يا أبى ؟ ألم تكُنْ غزوَةُ الأَحزابِ بينَ قُرَيشٍ وبينَ المُسلِمين ؟

قالَ أبوه : أوْعَزَ بعضُ سادَةِ اليَهودِ إلى قُرَيش ، أن يَخرُجوا لِقِتال مُحمَّد ، ووعَدوهُم أن يُعاوِنوهم في قِتالِه ، كما انضَمَّ إليهم يهودُ بَنى قُرَيْظَة ، جيرانُ النَّبىِّ فى المَدينَة ، وفَتَحوا أبوابَ المَدينَةِ أمامَ المُغيرينَ المُعتَدين . ولكنَّ النَّصْرَ جاءَ من عندِ اللّه ، فهبَّت الرِّياحُ شَديدَةً فاقْتَلعَتِ الخِيام ، وكفأَت أىْ قَلبَتِ القُدور ، فانصَرَف الأَحْزابُ عَنِ المَدينَةِ مَهزومين .

سألَ أَحمد : وماذا فعلَ الرَّسولُ صلَّى اللّهُ عَليهِ وسَلَّمَ ببَنى قُرَيْظَة ؟

قالَ أبوه : أوْكلَ النَّبِىُّ صلَّى اللّهُ عَليهِ وسلَّمَ

الحُكمَ فى أمْرِهم ، إلى سَعدِ بنِ مُعاذٍ بناءً على اخْتِيارِهم إيّاه ، حيثُ كان حليفَهم قبل إسلامه .

سألَ أحمد : ومَن يكونُ سعدُ بنُ مُعاذٍ يا أبى ؟

قالَ أبوه : سعدُ بنُ مُعاذٍ هو سَيِّدُ بَنى الأَشْهَل ، أعظَمِ بُطونِ الأَوْسِ وإمامُ الأنْصار ، أَنشأَهُ أبوهُ علَى القُوَّةِ والشَّجاعَةِ والعَصبيَّةِ والخُلُقِ الحَميد ، أسلَم علَى يَدِ مُصْعَبِ بنِ عُمَيْر ، أوَّلِ سَفيرٍ للإسْلامِ فى المَدينَة ، فقد سَمِعَ سعْدُ بنُ مُعاذٍ بالوافِدِ القادِمِ مِن المدينَةِ ـ مُصْعَب بنُ عُمَير ـ يدْعو إلى دِينٍ جديد ، ونَبذَ عُبادَةِ الأصنامِ وبِصفَته سَيِّدَ الأَوسِ ، ذَهَب سَعْدٌ وصديقُهُ "أُسَيْدُ بنُ حُضَيْر" إلى بَيتِ أسعدَ بنِ زُرارَة ـ بنِ خالَة سَعْد ـ حَيْثُ يَنْزِلُ مُصْعَب .

ذَهبَ وفِى نَيَّتِه أنْ يدْفَعَ هَذا الغَريبَ خارِجَ حُدُودِ المَدينَة .

ولكن سَرتْ كَلِماتُ مُصعَبٍ فى نَفسِ سَعدٍ سَرَيانَ السِّحر ، فأذابَت العَصبيَّةَ القَبَلِيَّة ، وألانتِ

الحجَر ، وأعلنَ سعدُ بن مُعاذٍ إسْــلامَهُ وسـطَ دَهشـةِ جَميعِ الحاضِرين . ونادَى فى قَومِهِ مُعلِنا عن إسْلامِه، فلم تَمضِ أيَامٌ على إسْلامِ سَعدِ بنِ مُعاذ ، إلاّ ولم يَبقَ بَيـتٌ مـن بُيـوتِ الأَوس ، إلاّ وفيـهِ مُؤمِـنٌ أو مُؤمِنَـةٌ يُوحِّدُ اللّه..

وعندَما هاجَرَ الرَّسولُ إلى المَدينَة ، كانـــتْ بُيـوتُ بَنى الأشْهَلِ قَبيلَةِ سَعدِ بـنِ مُعـاذ ، مُفتَّحَـةَ الأَبـوابِ للمُهاجِرين ، وكانَت أَموالُهم كُلُّها تحتَ تَصرُّفِهم .

وهنـا قـالَت الأُمّ : لا تَنسَ أن تَقصَّ على أَحمـدَ مَوقفَ سعدِ بنِ مُعاذٍ يومَ غَزوةِ بَدر ، فقدْ أظْهَرَ إيمَانًا ووَلاءً لا مَثيلَ لهما .

قالَ أبوه : أنتَ تَعلَمُ بالطَّبعِ يا أحْمَد ، مـا حـدثَ فى غَزوَةِ بَدْر ، والعيرَ الّتى هـربَ بهـا أبـو سُفْيان ، وخُروجَ قُريْشٍ لحَربِ المُسلِمين .

قالَ أحمد : نعمْ يا أَبى ، وأعلَمُ كذلِكَ أنَّ النّبـىَّ لم يُرِد أن يَخرُجَ لقِتالِهم ، قبلَ أن يَستَشيرَ أصْحابَه .

قالَ أبوه : وكان المُهاجرونَ على أُهبَـةِ الاسْتِعدادِ للخُروج ، ولكنَّ النّبِىَّ صلَّى اللّهُ عَليهِ وسـلّم ، نظرَ إلى الأَنصارِ وقال : أشيروا علَىَّ أيُّها النّاس .

فنهضَ سعدُ بنُ مُعاذٍ وقال : يـا رَسـولَ اللّـهِ لقـد آمنّا بك وصَدّقنـاك ، وشهِدنا أنّ مـا جئـتَ بـه هـو الحَقّ، وأعْطيناكَ على ذلك عُهودَنا ومواثيقَنا ، فامْضِ يا رَسولَ اللّهِ لما أرَدْتَ فنحنُ معك . ووالّذى بعثَكَ بالحَقّ لو استَعرضتَ بنا هذا البَحرَ فخُضتَه ، لخُضنـاهُ مَعك ، ما تَخلّف مِنّـا رجُلٌ واحِـد ، فسِـر بنـا على بَركَةِ اللّه .

وعِنـدَ بَـدءِ المَعركَـة ، أشـارَ سـعدُ بـنُ مُعـاذٍ علَـى الرَّسولِ صلَّى اللّهُ عَليهِ وسلَّم ، أن يُبنَـى لَـه عَريـشٌ

فى مَكانٍ مُرتَفِعٍ ، ليُديرَ مِنه المَعركَة . ووقفَ على بابِ العَريشِ سَعدٌ وأبو بَكرٍ وصَفوَةُ المُهاجِرينَ والأنْصار ، ليَحموا الرَّسولَ صلّى اللّهُ عَليهِ وسلَّم .

وقالَت الأُمّ : وفى يَومِ أحُد ، ألم يَكنْ دائِمًا إلى جانِبِ الرَّسولِ صلّى اللّهُ عَليهِ وسلَّم ، يُدافِعُ عَنهُ ويَحميهِ فى استِبْسالٍ وشَجاعَة ؟

قالَ الأب : وكذلِكَ فى يَومِ الخَندَق ، عِندما حاصرت قُرَيشٌ وغَطَفانُ المَدينَةَ بجَيشٍ عَرَمْرَم ، يُريدانِ الفَتكَ بالمُسلِمين ، فبَعثَ الرَّسولُ صلّى اللّهُ عَليهِ وسلَّمَ سَعدَ بنَ مُعاذٍ سَيِّدَ الأوْس ، وسَعدَ بنَ عبادَةٍ سيِّدَ الخَزرَج ، إلى يَهودِ بَنى قُرَيْظَةَ ليتبَيّنوا مَوقِفَهُم مِنَ الغَزْو، فكانَ ردُّهم بكلِّ خُبثٍ ومَكرٍ ودَهاء : لَيسَ بَينَنا وبَينَ مُحمَّدٍ عَقْدٌ ولا عَهْد .

قالَ أحمد : وهكذا تَخلّوا عن المُسلِمينَ فى أشَدِّ

المَواقِفِ وأصْعَبِها .

قالَ الأب : وعزَّ علَى الرَّسولِ صلَّى اللّهُ عَليهِ وسلَّم ، ما تَتعَرَّضُ له المَدينَةُ من خَطَر ، فعَرضَ على بَني غَطَفانَ الانْسِحابَ مِنَ المَعرَكة ، مُقابِلَ نِصْفِ ثِمارِ المَدينَة ، وشاوَرَ النَّبيُّ سعدَ بنَ معاذٍ وسعدَ بن عبادَة السَّيِّدَيْن ، فَهُما زَعيما المَدينة ، وصاحِبا الحقِّ في هذا الأمر .

وعِندما عَلِمَ سَعدُ بنُ مُعاذٍ أنَّ ذلك العَرضَ لَيسَ بِوحْيٍ منَ اللّهِ سُبحانَهُ ولِكنَّهُ اجْتِهادٌ من النَّبيِّ صلَّى اللّهُ عَليهِ وسلَّم ، لخَوفِهِ علَى المَدينَة ، قال : يا رَسولَ اللّه ، قد كُنّا نحنُ وهَؤلاء على الشِّركِ وعِبادَةِ الأَوثان ، لا نَعبُدُ اللّهَ ولا نَعرِفُه ، وهُم لا يَطمَعونَ أن يَأكلوا من مَدينَتِنا تَمْرا ، إلاّ كَرمًا أو ضِيافَةً أو بَيْعا . أوَبعدَ أن هَدانا اللّهُ للإسْلامِ نُعطيهُم أمْوالَنا ؟

واللَهِ لا نُعطيهِم إلاّ السَّيْف ، حتّى يَحكُـمَ اللّـهُ بَيننـا وبَينَهم.

ويأخُذُ النَّبيُّ صلَّى اللّهُ عَليهِ وسَلَّم برَأْىِ سَعدِ بنِ مُعاذ ، وتكونُ الحَرب . ويبدأُ حِصارُ المَدينَة ، وكـانَ سَعدٌ يَرتَدى دِرعًا قَصـيرا يَبرُزُ مِنـه ذِراعُـه ، وتَـدورُ المُناوَشاتُ حَولَ الخَندَق بـينَ المُسلِمينَ والمُشرِكين . ويَتراشَقُ الفَريقان بالنّبال ، ويُصيبُ سَهمٌ ذِراعَ سَعدٍ فيَقطَعُ شُريانَها فينفَجرُ مِنه الدَّم ، فيأمُرُ النَّبىُّ صلّـى اللّهُ عَليهِ وسَلَّم ، أنْ يُحمَلَ إلى المَسجِدِ ليَكونَ قَريبًـا مِنهُ فى أثْناء تَمريضِه ، ويَظهَـرُ حُـبُّ سَـعدٍ للجهـاد، ولنُصرَةِ دينِ اللّه فيَقول : اللّهم إنْ كُنتَ أبْقَيتَ مِـنْ حَربِ قُرَيشٍ شَيئًا فأبْقِنى لَها ، فإنّه لا قَوْمٌ أحـبَّ إلىَّ أن أُجاهِدَهم مِـن قَـومٍ آذَوا رَسـولَك وكذَّبـوهُ وأَخرَجوه ، وإنْ كُنتَ قَد وضَعتَ الحَـربَ بَينَنـا

،وبَينَهم فاجعل ما أصابَنى اليَومَ طَريقًا إلَى الشَّـهادَة ، ولا تُمتِنى حتّى تقَرَّ عَينى من بَنى قُرَيْظَة .

قالَ أحمد : ألِهَذهِ الدَّرجةِ يا أَبى كانَ يَكـرَهُ يَهودَ بَنى قُرَيْظَة ؟

قالَ أَبوه : نَعم يا وَلدى ، فقـدْ خـانوا المُسـلِمين ، وَتَخلَّوا عَنهُم فى أَصْعَـبِ المَواقِـفِ وأشَـدِّها خُطـورَةً على الإِسْلام .

قالَ أحمـد : وهـلْ كـانتْ إصابَتُـهُ سَـبَبًا فـى مَوتِـهِ يا أَبى؟

قالَ أبوه : ماتَ سَعدُ بنُ مُعاذٍ مُتأثِّرًا بجِراحِه ، بعدَ شَهرٍ من الآلامِ والمُعاناة ، ولكنّه كانَ ـ كما سبقَ أن قُلنا ـ حَكَمًا على يَهودِ بَنى قُرَيْظَة قبلَ مَوتِه.

سألَ أحمد : وكيفَ كانَ ذلِكَ يا أَبى ؟

قالَ أبوه : عندَما هبَّتِ الرِّياحُ فى غَزوَةِ الخَندق ،

أجْلَتْ قُرَيْشًا والمُغيرينَ عن المَدينة ، نادَى النَّبىُّ صلَّى اللّهُ عليهِ وسَلَّمَ فى أصْحابِه وقال : (لا يُصلِّيَنَّ أحَدٌ العَصرَ إلاَّ فى بَنى قُرَيْظَة) . وحاصرَ المُسلِمون بنى قُريظَة خَمسًا وعِشرينَ لَيلَة ، حتّى تَعبوا مِن الحِصار، وقذفَ اللّهُ الرُّعبَ فى قُلوبِهم فاسْتَسلَموا ، ورَجَوا أن يُحكِّمَ الرَّسولُ صلَّى اللّهُ عَليهِ وسَلَّمَ فيهم ، سَعْدَ بنَ مُعاذٍ ، وكانَ حَليفَهُم فى الجاهِلِيَّة . وأرسَلَ الرَّسولُ صلَّى اللّهُ عَليهِ وسَلَّمَ إلى سَعد ، وجِىء بهِ وقد أعْيَتهُ إصابَتهُ وأنْهَكَتْه ، فشَفَى غَليلَهُ مِنَ اليَهودِ فقال : أرى أنْ يُقتَلَ مُقاتِلوهم ، وتُسبىَ ذَراريهم وتُقَسَّم أمْوالُهم .

وعَلَّقَ النَّبىُّ صلَّى اللّهُ عَليهِ وسَلَّم على حُكمِه ، فقال : قَضيْتَ بحُكمِ اللّه .

ويَزورُهُ النّبِىُّ فى لَحَظاتِهِ الأَخيرَة ، فيدعو لـه ويَقول: (اللّهـم إنَّ سَعدًا قـد جاهَدَ فى سَبيلِك ، وصدَّقَ رَسولَك ، وقَضى الّذى قَضيْتَ عليه ، فتَقبَّلْ روحَه بخَيرِ ما تُقُبِّلَت روح) .

ولقِىَ الفَتى ربَّه مُتهلّلا مُستَبشِرا ، لاحِقًا بمَن سَبَقوه من المُسلِمينَ الأوائل ، فلَيسَ يُقاسُ عُمرُ المَرءِ بعَددِ السَّنَوات الّتى قَضاها فى الحَياة ، ولكنْ بِما قدَّمَهُ فى خِلالِ تِلكَ السَّنوات .

قالَ أحمدَ : كم كانَ عُمرُ سَعدِ بنِ مُعاذٍ عندَما ماتَ يا أبى ؟

قالَ أبوه : كانَ فى السّابعَةِ والثّلاثينَ من عُمرِه ، وقدْ أمْضَى منها فى الإسْلامِ سِتَّ سَنَواتٍ فَقَط ، ولكِنّه أَنجَزَ خِلالَها الكَثير ، حتّى إنّه كان بينَ الأنْصارِ بمَنزِلَةِ أَبى بَكرٍ الصِّديقِ بينَ المُهاجرين .

وعندَ مَوتِ سَعدِ بنِ مُعاذ ، يَأتى جِبريلُ عَليهِ السَّلامِ ويُحدِّثُ الرَّسولَ صلَّى اللَّهُ عَليهِ وسَلَّم عَنِ الشَّخصِ الَّذى مات ، فيَقول : لقد اهتَزَّ عَرشُ الرَّحمنِ بمَوتِه .